افتتاحية

الإمكانات الإبداعية لمولدات الفن بالذكاء الاصطناعي

تتمتع مولدات الفن بالذكاء الاصطناعي بقدرة مذهلة على فتح عالم واسع من الإمكانات الإبداعية. تعمل هذه المولدات الفنية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي كأدوات ديناميكية تسهل إجراء تجارب لا حدود لها مع أشكال مختلفة من التعبير الفني، مما يؤدي في النهاية إلى ولادة شيء أصيل لا مثيل له. علاوة على ذلك، تعمل هذه الأنظمة المبتكرة على تمكين الفنانين من الشروع في رحلات استكشاف آسرة عبر مناطق مجهولة ذات عجائب جمالية. فمن خلال تسخير هذه القدرة، يُمنح الفنانون فرص استثنائية للتعمق في العديد من الجماليات والأساليب المتنوعة التي قد تشكل عادةً تحديات هائلة، أو التي قد لا يمكن تحقيقها في بعض الأحيان في ظل الفن المباشر.

يسمح خيال الفنانين بإضفاء لمسة شخصية فريدة من نوعها على الفن الناتج عن الذكاء الاصطناعي التوليدي، وتعزيز النتائج وتحسينها لتتناسب مع أسلوبهم الفني. وفي هذا التعاون بين التكنولوجيا والإبداع، فإن خيال الفنان هو العنصر الذي يضخ الفن بجوهره الإبداعي، مما يوفر لكل قطعة منظورًا متميزًا وعمقًا شخصيا عاطفيًا. إذن، نجد أن مولدات الفن التي تعمل بالذكاء الاصطناعي تساهم في إحداث تحول عميق داخل صناعة الفن، مما يدفعها إلى عصر جديد مثير يعج بتعبير إبداعي لا مثيل له، وخيال خصب لا حدود له.

جاء وقع ظهور هذا الاتجاه الجديد على مجتمع التشكيليين كالصاعقة، خاصة عندما شرع بعض الفنانين الذين يعملون بالذكاء الاصطناعي التوليدي بإقامة معارض لأعمالهم التشكيلية في قاعات العرض. فلقد عارض عامة الفنانون هذه الأفعال واعتبروها خارجة عن الأعراف، وأن هذا النوع من الإنتاج لا يمكن أن يتساوى مع الأعمال المباشرة للفنان لأنه يفتقد الوعي. وتساءل البعض عن الدور الذي سوف يلعبه الذكاء الاصطناعي التوليدي في الحركة الفنية التي تشكل سوق الفن كجزء من عولمته في السنين القادمة؟ كما أثار البعض مشكلة الأنساب.

ولمحاولة الرد على التساؤل الأول، قد نسترجع تاريخ الفن في الحقب الزمنية السابقة، فنجد أن ظهور الاكتشافات العلمية لها تأثير مباشر على الناتج التشكيلي. مثلا، عند ظهور الكاميرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واستخدام التصوير الفوتوغرافي، والذي يعتبر شكل من أشكال تزاوج الفن والتكنولوجيا، فهو يلتقط اللحظات بما فيها من أشكال، وإضاءة، وألوان؛ ونجد أن ذلك أثر على اتجاهات ومدارس الفن التشكيلي الحديث وغير من إنتاجها، فلم تعد تهتم بتصوير الأشكال كما تبدو في الطبيعة، إنما عبرت بأساليب مستحدثة

مثل التأثيرية، والتعبيرية، والتجريدية، والسريالية، وغيرها. وفى ظاهرة جديدة بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين، استخدم الفنانون الفن الرقمي. وتعتبر الأعمال الفنية لوحة رقمية، عندما يجري إنشاؤها بطريقة مماثلة للوحات غير الرقمية، ولكن باستخدام البرمجيات على منصة الحاسوب، وإخراج الصورة الناتجة بشكل يتقارب فيه الرسم المباشر باليد على السطح، ولكنه بالأدوات الرقمية. ووسط آراء متنوعة حول إيجابيات وسلبيات التكنولوجيا الرقمية في الفنون، يبدو أن هناك إجماعاً قوياً داخل مجتمع الفن الرقمي على أنه خلق «توسعًا كبيراً في المجال الإبداعي»، أي أنه وسع بشكل كبير الفرص الإبداعية المتاحة للفنانين المحترفين وغير المحترفين على حد سواء.

أما بالنسبة لقضية الأنساب في الفن التوليدي، فترجع إلى كيفية إتمام الفن التوليدي؛ حيث إنه يمكن استخراج الأشكال من خلال وصف مكتوب في ثوان معدودة، معتمدا على المخزون الضخم من المعلومات ومستندا إلى الملايين من الخوارزميات المختزنة في العقل الاصطناعي الذكي. ويعتقد البعض ذلك تعديا على حقوق الملكية الفكرية للفنانين الأصليين. ولقد لجأت إحدى الفنانات إلى الشفافية الكاملة في طباعة لوحاتها باسمها مقترنا باسم البرنامج التوليدي الذي استخدمته وهو Midjourney، شارحة أن لوحاتها ليست نتاجها وحدها، إنما هي نتيجة عمل جماعي بينها وبين ذلك البرنامج، وهى بهذا تقود فريق العمل. ويعد ذلك موقفا جديدا من الفنان، وهو الذي يعتز دائما بأفكاره الخاصة، ومهاراته الذاتية وبصمته الأحادية في عالم الفن. ومن هنا نستشف دورا جديدا للفنان المبتكر متزامنا مع متطلبات سوق العمل في الأداء السريع.

إذن، ماذا يقلقنا من الفن التوليدي؟ يعتقد بعض الممارسين له أن التنظير سابق لأوانه، وأنه يجب إفساح الوقت كي تستقر الصورة، وأنه لا يمكن للآلة أن تتفوق على صانعها، لذلك سيكون الذكاء الاصطناعي التوليدي مستمدا قدرته من الفنان الذي يبقى موجها له. وأما الفنان المباشر الذي يعمل بمفرده، فسوف يستمر وربما تظهر من خلاله اتجاهات جديدة في تاريخ الفن المعاصر لم تظهر بعد.

أ.د. علية عبد الهادي
أستاذ العمارة الداخلية
بقسم الديكور– كلية الفنون الجميلة
بالقاهرة - جامعة حلوان
عضو الهيئة الاستشارية بمجلة الفنون
والعمارة للدراسات البحثية JAARS